

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْبَرَامِ

(١٣)

بَدَايَاتُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ..

الدكتور

محمد عمر الحاجي



الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المكتبي

للطباعة والنشر والتوزيع

www.almaktabi.com

الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْعَةُ

تَعَالَوْا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ الْبَرَاعِمُ لِنَرَى مَا هُوَ
الْمَحْوَرُ الرَّئِيسِيُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي أَنْزَلْتُ عَلَى
النَّبِيِّ ﷺ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى
يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَهَا ؛ فَقَدْ عَصَمَ
مِنِّْي مَالَهُ ، وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ
عَلَى اللَّهِ » .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ يُبَيِّنُ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ : أَنَّهُ جَاءَ لِإِكْمَالِ الرِّسَالَةِ ،

وَالْتَّكِيدَ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، يَقُولُ ﷺ : « يَا
أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ » .

وَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ
لَأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

وَهَكَذَا ، فَالْخَطُّ الرَّئِيسُ لِلدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
هُوَ إِخْرَاجُ النَّاسِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ،
وَالْأَحْجَارِ ، وَالْأَشْجَارِ ، وَالْأَشْخَاصِ إِلَى
عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .

وَلَكِنْ إِلَى مَنْ بُعِثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؟
فَهُوَ لَيْسَ كَالْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ ، بِحَيْثُ كَانَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، مَثَلًا مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعِثَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَطْ .

بَيْنَمَا الرَّسُولُ الْخَاتَمُ ﷺ بُعِثَ إِلَى النَّاسِ
كَافَّةً ، حَتَّى الْجَنِّ ، وَإِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ ^(١) .

وقوله سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ^(٢)

* * *

(١) سورة سبأ : ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٨ .

« وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ »

لَكِنْ يَا أَحِبَّتِي الْبَرَاعِمَ! قَدْ يَخْطُرُ بِبَالٍ أَحَدِكُمْ
سُؤَالَ : هَلْ بَعْدَ الْمُصْطَفَى ﷺ رَسُولٌ أَوْ نَبِيٌّ ؟

جَوَابُ ذَلِكَ نَسْمَعُهُ مِنَ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْهِ : « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ، كَمَثَلِ
رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ
مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسَ يَطُوفُونَ بِهِ ،
وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ هَلَا وُضِعَتْ هَذِهِ
الْلبنةُ ؟

قَالَ : فَأَنَا الْلبنةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ .

وَلِذَلِكَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَهُوَ
خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأُمَّتُهُ خَاتِمَةُ الْأُمَمِ...

* * *

كَيْفَ كَانَتْ بَدَايَاتُ الدَّعْوَةِ ؟

لَكِنْ يَا أَحِبَّتِي الْبَرَاعِمَ تَعَالَوْا لِنَرَى كَيْفَ بَدَأَ
الرَّسُولُ ﷺ بِالدَّعْوَةِ ؟

وَكَيْفَ كَانَ مَوْقِفُ مُشْرِكِي مَكَّةَ مِنْ ذَلِكَ
الْحَدِيثِ الْغَرِيبِ ؟

وَهَلْ تَقَبَّلُوا أَنْ يَتْرُكُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ
وَأَجْدَادُهُمْ ، مِنْ عِبَادَةٍ لِلْأَصْنَامِ وَ... ، وَالسَّيْرِ
وَرَاءَ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ، مِنْ خِلَالِ الْاهْتِمَامِ
بِعِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الدَّيَّانِ ؟!

حَتْمًا إِنَّهَا مُهِمَّةٌ ثَقِيلَةٌ ، وَمُوَاجَهَةٌ شَاقَّةٌ ،
وَلِذَلِكَ جَاءَهُ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَتْرَكَ كُلَّ مَا فِي

يَدِيهِ ، وَيُشْمَرُ عَنْ سَاعِدَيْهِ ، وَيَسْتَنْفِرُ كُلَّ طَاقَاتِهِ
مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ :

﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ﴾ (١) ﴿فَرَفَّازٍ﴾ (٢) ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِيرُ﴾ (٣) ﴿وَنِيَابَكَ
فَطَهَّرُ﴾ (٤) ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ﴾ (٥) ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ (٦) ﴿وَلِرَبِّكَ
فَأَصْبِرُ﴾ (١) .

لَكِنَّ الْبِدَايَاتِ كَانَتْ سِرًّا ، حَيْثُ رَاحَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَدْعُو أَقْرَبَ
النَّاسِ إِلَيْهِ .

وَاسْتَمَرَّتْ مَرَحَلَةُ سِرِّيَّةِ الدَّعْوَةِ قَرَابَةَ ثَلَاثِ
سِنِينَ .

* * *

(١) سورة المدثر : ١-٧ .

أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ

وَبَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ دَعْوَتَهُ بِرَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ ، فَقَدْ
عَرَضَ عَلَيْهَا مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ .

وَلَأَنَّهَا كَانَتْ تَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ ، وَمُعَامَلَتَهُ ،
وَلَأَنَّهَا كَانَتْ امْرَأَةً فَاضِلَةً ، ذَاتِ حَسَبٍ ، وَنَسَبٍ ،
وَلَأَنَّهَا نَبَتَتْ فِي ثُرْبَةٍ طَاهِرَةٍ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ
فَقَدْ آمَنَتْ بِرِسَالَتِهِ مَبَاشَرَةً ، وَصَدَّقَتْ كُلَّ مَا قَالَ
لَهَا ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ ، مُصَدِّقُ
ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ : « خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ سَابِقَةُ
نِسَاءِ الْعَالَمِينَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ » .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ وَقَفْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي

سَبِيلِ نُصْرَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَقَدِّمَتْ مَالَهَا وَكُلَّ
مَا تَمَلَكَ فِدَاءً لِلْإِسْلَامِ ، وَبَقِيَتْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى
تُوفِّيَتْ .

وَقَدْ ذَكَرَ لَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْفَضَائِلِ ، مِنْهَا : أَنَّ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ
قَوْلُهُ ﷺ : « أَمَرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ
قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ » .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ :
« أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ،
وَفَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ
بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ » .

وَهَكَذَا بَقِيَ الرَّسُولُ ﷺ يَذْكُرُ مَوَاقِفَهَا
الصُّلْبَةَ فِي مُوَاجَهَةِ الْأَزْمَاتِ وَالصَّعَابِ ، حَتَّى
بَعْدَ مَوْتِهَا ، بَلْ وَحَتَّى انْتِقَالِهِ إِلَى الرَّفِيقِ

الأعلى : « لَقَدْ آمَنْتُ بِئِي ، حِينَ كَفَرَ بِئِي النَّاسُ ،
وَأَوْتَنِي ، إِذْ رَفَضَنِي النَّاسُ ، وَصَدَّقْتَنِي ؛ إِذْ
كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللهُ مِنْهَا الْوَلَدَ ؛ إِذْ
حَرَمَنِي مِنْ غَيْرِهَا »

* * *

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ

ثُمَّ عَرَضَ الرَّسُولُ ﷺ دَعْوَتَهُ عَلَى أَعَزِّ
أَصْدِقَائِهِ ، وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ
عَالِمًا بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ ، وَيَعْمَلُ فِي أُمُورِ
التَّجَارَةِ .

وَلِكَثْرَةِ مَعْرِفَةِ أَبِي بَكْرٍ بِصَدَقِ الرَّسُولِ ،
وَأَمَانَتِهِ ، وَأَخْلَاقِهِ آمَنَ بِالدَّعْوَةِ ، وَتَقَبَّلَهَا ،
وَأَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَلِذَلِكَ عِنْدَمَا سَأَلَ الشَّعْبِيُّ ابْنَ عَبَّاسٍ : مَنْ
أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ؟

فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَواً مِنْ أَخِي ثِقَّةٍ

فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعْدَلَهَا

بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا

الثَّانِي التَّالِي الْمَحْمُودُ مَشْهُدُهُ

وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا

وَمُبَاشَرَةٌ انْتَقَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى

طَوْرِ الدَّاعِيَةِ ، حَيْثُ عَرَضَ عَلَى أَصْدِقَائِهِ مَا

عَرَضَهُ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ :

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَالرُّبَيْرِيُّ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَعَبْدُ

الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

* * *

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ

وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ كَفَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي
طَالِبٍ ، فَلَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ الدَّعْوَةُ ، أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ ،
وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ .

* * *

وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ الْمَوَالِي وَالْعَبِيدِ

وَهَكَذَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الْمَوَالِي مَوْلَاهُ
زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الْعَبِيدِ بِلَالُ
ابْنُ رَبَاحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَتَتَالَى دُخُولُ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ سِرًّا ، حَتَّى
كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *